محاضرة الأدب الاسلامي

من كتاب الأمالي في الأدب الاسلامي للدكتورة
ابتسام مرهون الصفار

قصائد (جرير ، الفرزدق ، الأخطل) وتحليلها

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية
كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

قصيدة وتحليل

قال جرير يهجو الاخطل (٤٢١)

١ ـ لمن الـديـار ببرقـة الروحـان
اذ لانبيـع زمـاننـا بـزمـان (٤٢٢)

٢ ـ ان زرت اهلـك لم تبـالي حـاجتي
واذا هجرتـك شفني هجراني (٤٢٣)

٣ ـ راجعت بعـد سلـوهن صـابـة
وعرفت رسم منـازل ابكاني (٤٢٤)

٤ ـ نـزل المشيب على الشبـاب فراعني
وعرفت منزلـه على اخـداني

٥ ـ قـد راعنيْ صلـع وشيب شـامـل
بعـد الشبـاب وعهـده الفينـان (٤٢٥)

٦ ـ اصحـا فـؤادك اي حين اوانِ
ام لم يرعـك تحمـل الجيران (٤٢٦)

٧ ـ هـل تبصران ودير اروى دوننـا
بـالاعـزلين بـواكر الاظعـان (٤٢٧)

---

(٤٢١) نقائض جرير والاخطل/لابي تمام . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٢٢ صفحة ١٩٨ فما بعدها .

(٤٢٢) برقة الروحان : اسم موضع يتذكر ايامه في برقة الروحان حيث كانوا راضين بعيشهم لايرغبون ببيعه اي لايستبدلون بعيشهم اخر .

(٤٢٣) شفني : هزلني واضرني .

(٤٢٤) يتساءل الشاعر لشدة شوقه هل برح مكانه . البردان : قطعتان من رمل .

(٤٢٥) بعد سلون : اي بعد سلوي عنهن اي انه تذكرهن حين وقف على الديار .

(٤٢٦) اي اوان : تعجب ، يريد اي حين صحا .

(٤٢٧) دير اروى بالشام ، والاعزلان موضعان ببلاد بني كليب .

٨ - صـــدع الظعـــائن يـــوم بنّ فـــؤاده
صـدع الـزجـاجـة مـا لـذاك تـدان(٤٢٨)

٩ - فرفعت مـــائرة الـــدفـــوف املهـــا
طـــول الـــوجيف على وجى الامران(٤٢٩)

١٠- حرفـــا اضر بهـــا السفـــار كأنهـــا
جفن طـويت بـــه نجـــاد يمـــان(٤٣٠)

١١- ضـــاع الـزبير وقيـل ان مجـــاشعـــا
شهـــدوا بجمـع صـنياطر عـــزلان(٤٣١)

١٢- واذا لقيت على زرود مجـــــاشعـــا
تركـوا زرود خبيئـــة الاعطـــان(٤٣٢)

١٣- ان الفرزدق والقرين وضـــــــوطرا
بئس الفـوارس ليلـــة الحـدثـــان(٤٣٣)

١٤- لمـــا جبنت كفى الثغـــور مشيّـــع
منـــا غـــداة هـــزمت غير جبـــان(٤٣٤)

---

(٤٢٨) الصدع الكسر المستطيل ، يريد كما ان صدع الزجاجة لايلتئم فكذلك صدع قلبه الذي كان بسبب رحلة الاحبة .

(٤٢٩) رفعت : اي رفعت ناقتي في السير ، الدفوف جمع دفع وهو الجنب ، يريد وصف ناقته بانها تسرع في حركتها وتمور دفوفها اذا سارت . الوجا وجع يصيبها في اخفافها ، الامران : الاخفاف سميت بذلك لانها مرنت السير .

(٤٣٠) الحرف الناقة يشبهونها بحرف الجبل من غلظها ، وقيل الحرف : الضامر ، الجفن غمد السيف ، والنجاد حمائل السيف ، ويماني صفة للسيف

(٤٣١) اي شهدوا مقتل الزبير فضيعوه ولم ينصروه . صنياطر : ضخام لاغناء عندهم اي ضخامة بلا فائدة . والاعزل الذي لاسلاح له

(٤٣٢) زرود موضع وقيل اسم رمل . يريد ان بني مجاشع اذا وردوا الموضع المعروف بزرود خبئوه لخبثهم .

(٤٣٣) القرين : اسم رجل من قوم الفرزدق من مجاشع ايضا . وضوطر هو الشاعر البعيث .

(٤٣٤) يقول لما جبنت في الدفاع عن الثغور كفاها رجل من فارس جرى معه شيعة اي جماعة .

١٥- ان رمت عبد بني اسيدة عزنا

١٦- كذب الفرزدق ان قومي قبلهم فانقل منابك يذبل وأبان (٤٣٥)

١٧- منهم عتيبة والمحل وطارق قسطت فوارسهم على النعمان (٤٣٦)

١٨- انا لنغتصب الملوك نفوسهم والحنتفان ومنهم الردفان (٤٣٧)

١٩- قل للشور والمعرض نفسه قابوس يعلم ذاك والجونان (٤٣٨)

٢٠- عدا جدعت انوف تغلب بعدما من شاء قاس عنانه بعناني

٢١- إنّ القصائد يا أُخيطل فاعترف حزّ المواسم آنف الاقيان

وصلت اليك مجرة الارسان (٤٣٩)

---

(٤٣٥) يصفه بانه عبد وانى لمثله ان يروم عزنا وهو بهذا كمن يحاول ان ينقل جبلين من مكانهما (يذبل وابان اسمان لجبلين) .

(٤٣٦) جرير هنا يكذب الاخطل لانه ادعى في شعره بان تاج الملوك وعزها في بني دارم قوم الفرزدق ، فيكذبه ويقول بان قومه سبق ان انتصروا على الملك النعمان .

(٤٣٧) يعدد جرير هنا اسماء فوارس قبيلته . والردفان عتاب ابن هرمي وابنه عوف بن عتاب ، والردفان هما من ينوبان مناب الملك اذا غاب ، وقد ذكر ان مالك بن نويرة كان ردفا ايضا

(٤٣٨) يشير هنا الى يوم طخفة وفيه هزمت بنو يربوع جيش المنذر بن ماء السماء ، والجونان هما عمرو ومعاوية ابنا شراحيل اسرا يوم الشقب

(٤٣٩) مجرة الارسان اي مخلاة الطريق اي لاتحبس عنك ، وصغر اسم الاخطل للتحقير .

٢٢- وعلقت في قرن الثلاثة رابعا
مثل البكار ذرقن في الاقران(٤٤٠)

٢٣- والتغلبي مغلب قعدت به
مسعاته عبد بكل مكان

٢٤- والتغلبي على الجواد غنيمة
والتغلبية مهرها فلسان

٢٥- ياذا العباية ان بشرا قد قضى
ان لاتجوز حكومة النشوان(٤٤١)

٢٦- فدعوا الحكومة لستم من اهلها
ان الحكومة في بني شيبان(٤٤٢)

٢٧- قيس على وضح الطريق وانتم
تترددون تردد العميان(٤٤٣)

٢٨- وطئت سنابك خيل قيس منكم
قتلى يقبح روحها الملكان(٤٤٤)

٢٩- ياعبد تغلب ماتزال مغلبا
فاخسأ بدار مذلة وهوان

٣٠- اني ليعرف في السوابق منزلي
عند الملوك وعند كل رهان(٤٤٥)

---

(٤٤٠) يقول نشقت كما ينشق الظبي الحمار في الشبك ، والقرن الحبل الذي قرنوا به اي علقت حبلي الذي جمعتهم فيه والثلاثة هم الفرزدق والبعيث وعمرو بن لجأ ، والرابع الاخطل .

(٤٤١) بشر هو بشر بن مروان كان قد سأل الاخطل رأيه في جرير والفرزدق ففضل الاخطل الفرزدق ، وخاطبه بذي العباية ليشير الى ماقيل من ان الاخطل لبس يوم الجسر عباءة .

(٤٤٢) يقول له انك لست مؤهلا لاصدار حكم في المفاضلة التي سئلت عنها .

(٤٤٣) يعني انهم لايعرفون طريق الحق من الباطل وهو يترددون كما يتردد الاعمى .

(٤٤٤) يعني ان ارواحهم اذا رفعت الى السماء فعرفتها الملائكة قبحتهم لسوء فعالهم .

(٤٤٥) الرهان في الكرم والمسابقة ، اي ان منزلته معروفة بين الناس واذا تبارى الفرسان فمكانه في الطليعة ومعروف ، وهو مقدم عند الملوك .

وقال الفرزدق يرد على جرير (٤٤٦)

١ - يـــاابن المراغـــة والهجـــاء اذا التقت
اعنـــاقـــه وتمـــاحـــك الخصمان (٤٤٧)

٢ - مـــاضر تغلب وائـــل اهجـــوتهـــا
امـــا بلت حين تنـــاطـــح البحران (٤٤٨)

٣ - يـــاابن المراغـــة ان تغلب وائـــل
رفعـــوا عنـــاني فـــوق كل عنـــان (٤٤٩)

٤ - كان الهـــذيـــل يقـــود كل طمرة
دهـــاء مقربـــة وكل حصـــان (٤٥٠)

٥ - يقطعن كل مـــدى بعيـــد غـــولـــه
خبب السبـــاع يقـــدن في الارســـان (٤٥١)

٦ - وردوا إراب بجحفـــــــل من تغلب
لجب العشي صنبـــــــارك الاركان (٤٥٢)

٧ - فيـــه يبيت من المخـــافـــة عـــائـــذاً
الف عليـــــه فـــوانس الابـــدان (٤٥٣)

---

(٤٤٦) نقائض جرير والاخطل ٢١٣ فما بعدها

(٤٤٧) يقول : الهجاء انما يكون اذا التقت اعناقه وجد الشاعران ونظر في شعرهما . التماحك اللجاجة ، والخصومة في الشعر .

(٤٤٨) مجتمع البحرين قيل هو بعبادان يعني ان هجاء جرير في تغلب لايضرها ولايؤثر فيها لان فضلها معروف في العرب .

(٤٤٩) الجنان : كناية عن الشرف ، يقول ان تغلب قد شرفتني فوق كل شريف .

(٤٥٠) الهذيل بن هبيرة التغلبي خرج من ارض الجزيرة في الف تغلبي واغار على حنبة ثم على بني يربوع واسر الخطفي .

(٤٥١) غول : بعد ، يصف الخيل بانهن مدربات بجنبات الى ان يحتاج اليهن يوم الغارة .

(٤٥٢) ححفل جيش كثير ، لجب كثير الضجة ، صنبارك عظيم ضخم .

(٤٥٣) يقول انهم اكثرتهم يستجير بهم الف من الناس ذوي سلاح . والفوانس الدروع

٨ - والحوفزان اميرهم متضائل في جمع تغلب ضارب بجران(٤٥٤)

٩ - تركوا لتغلب اذ رأوا ارماحهم بباراب كل لئيمة مدران(٤٥٥)

١٠- تدمي وتغلب يمنعون بناتهم اقدامهن حجارة الصوان(٤٥٦)

١١- يمشين في اثر الهذيل وتارة يردفن خلف اواخر الركبان(٤٥٧)

١٢- احبين تغلب اذ وردن بلادهم لما سمن وكن غير سمان(٤٥٨)

١٣- يمشين بالفضلات بين رحالهم يتبعن كل لعقيرة ودخان(٤٥٩)

١٤- لولا اناتهم وفضل حلومهم باعوا اباك بأوكس الاثمان(٤٦٠)

١٥- وكأن رايات الهذيل اذا علت فوق الخميس كواسر العقبان(٤٦١)

---

(٤٥٤) ضارب بجران : اي ذليل .

(٤٥٥) مدران من الدرن وهو الوسخ

(٤٥٦) يعني انهن سبايا يمشين حافيات . الصوان حجارة تدمي اقدامهن

(٤٥٧) اما ان تساق نساؤكم خلف جيش الهذيل ، او يتركن اخر الركب لذلتهن .

(٤٥٨) يريد انهن في اسرهن احببن تغلب لانهن وجدن عندها الاكل وكن جياعا في دياركم .

(٤٥٩) الفضلات الخمور ، العقيرة الصوت ، يقول حيثما رأين دخانا تبعنه يستطعمن . وانهن شربن الخمور.

(٤٦٠) الاناة الحلم . يقول منوا على الخطفي حين اسروه ، وهبه الهذيل لعمرو بن عقفان اليربوعي . وكان عمرو ابن اخت الهذيل . واوكس الاثمان ارخصها .

(٤٦١) شبه الرايات باجنحة العقبان اذا كسرت ، والكاسر المنقض من العقبان .

١٦- فـــاســـأل بتغلب كيف كان قـــديمهم
وقـــديم قـــومـــك اول الازمـــان(٤٦٢)

١٧- لـــولا فـــوارس تغلب ابنـــة وائـــل
نـــزل العـــدو عليـــك كل مكان(٤٦٣)

١٨- حبســوا ابن قيصر وابتنــوا برمـــاحهم
يـــوم الكـــلاب كافضـــل البنيـــان(٤٦٤)

١٩- قـــوم هم قتلـــوا ابن هنـــد عنـــوة
عمرا وهم قسطـــــــوا على النعمان(٤٦٥)

٢٠- قتلـوا انـــائـــع والملـــوك واوقـــدوا
نـــارين قـــد علتـــا على النيران(٤٦٦)

٢١- قـــوم اذا وزنـــوا بقـــوم افضلـــوا
مثلي مـــــــــوازنهم على الميزان

---

(٤٦٢) قديمهم : شريفهم . اول الازمان يريد بها مامضى

(٤٦٣) يريد ان العدو ينزل في كل مكان تنزل فيه لولا حماية تغلب لكم .

(٤٦٤) حبسوا : ردّوا .

(٤٦٥) عمرو بن هند قتله عمرو بن كلثوم التغلبي لما ارادت هند ان تستخدم ليلى ام عمرو بن كلثوم فنادت ليلى : واذلاه يالتغلب فسمعها ابنها فثار الى السيف فضرب رأس عمرو بن هند .

(٤٦٦) صنائع الملوك الذين اصطنعوهم ويعني بالنارين يوم اوقد فيه التغلبي نارا على جبل يدعى خزازا .

وقال الاخطل يمدح بني دارم ويهجو جريرا (٤٦٧)

١ - بكر العـــوذل يبتـــدرن مـــلامتي
والعـــالمـــون فكلهم يلحـــاني (٤٦٨)

٢ - في ان سقيت بشربـــة مقـــذيـــة
صرفٍ مشعشعـــة بمـــاء شنـــان (٤٦٩)

٣ - فضللت اسقي صـــاحبي من بردهـــا
عمـــدا لأرويـــة كا اراوني

٤ - وذكرت اذ جرت الشمال فهيجت
شـوقـاً لنفـا ريـا وام ابـان (٤٧٠)

٥ - والحـــارثيـــة انني مهـــدٍ لهـــا
مـــدحـــا يشب بهن كل مكان

٦ - لاقيتهن بجمـــع قـــأرينيي
صـور المهـا بـزخـارف البنيـان

٧ - ومرمـل الحنـاء يصبـح قـانيـا
كـدم الـذبيـح بـاروح وينـان (٤٧١)

٨ - واذا رأين الشيب لم يقربنـــه
والغـــانيـــات عن الكبير غـــواني

٩ - يقطعن عنـــه كل حبـــل مـــودة
جهـــلا وهنّ الى الشبـــاب رواني (٤٧٢)

---

(٤٦٧) نقائض جرير الاخطل ٢١٩ فما بعدها .

(٤٦٨) يلحا : يلوم ، واللحاء اللوم .

(٤٦٩) مقذية قد قذيت وصفيت ، مشعشعة ممزوجة وماء شنان ماء مقطر والماء الذي يقطر من قربة او شجر شنان وشنانة .

(٤٧٠) الشمال : ريح الشمال .

(٤٧١) العاني الشديد الحمرة . والارواح جمع راح راحة .

(٤٧٢) رواني : مديمات النظر .

١٠- اني اديم لـــذي الصفـــاء مـــودتي
واذا تغير كنت ذا ألـــوان

١١- وافـــارق الخـــلان عن غير القلى
واميت عنـــدي السر بـــالكتمـــان

١٢- مـــابـــال قـــوم لاتغب اذاتهم
قعس الظهـــور من الحقين بطـــان (٤٧٣)

١٣- هم هيجـــوا حربي ومـــالهم بهـــا
لـــو واجهتهم بـــاللقـــاء يـــدان

١٤- قبـــح الالـــه بني كليب انهم
لايحفظـــون محـــارم الجيران

١٥- قـــوم اذا نفـــخ الحقين بطـــونهم
لم ينزعـــوا بقـــوارع الفرقـــان

١٦- واذا تنـــودب للمكارم والعـــلا
لم ينـــدبـــوا لترافـــد الاعـــوان

١٧- أجرير انـــك والـــذي تسمـــو لـــه
كعسيفـــة فخرت بمجـــدج حصـــان

١٨- اتعـــد مـــأثرة لغيرك فخرهـــا
وسنـــاؤهـــا في ســـالف الازمـــان

١٩- تـــاج الملـــوك وصهرهم في دارم
ايـــام يربـــوع مـــع الرعيـــان

٢٠- واذا وضعت ابـــاك في ميزانهم
رجحـــوا وشـــال ابـــوك في الميزان

٢١- ولقـــد تقـــايستم على احـــبكم
وجعلتم حكمـــا من السلطـــان (٤٧٤)

---

(٤٧٣) الاقعس : المنحني الظهر ، والحقين اللبن المحقون في الوطاب .

(٤٧٤) المقايسة ان تقول ابي اشرف من ابيك وابي فلان وجدي فلان شال ارتفع يريد انهم كانوا ارجح منك .

٢٢- فـــاذا كليب لاتـــوازن دارمـــا
حتى يـــوازن كرذم بـــأبـــان(٤٧٥)

٢٣- فـــاذا سمعت بـــدارم قـــد اقبلـــوا
فـــاذهب اليـــك مخـــافـــة الطـــوفـــان(٤٧٦)

٢٤- واذا وردت المـــاء كان لـــدارم
عفـــواتـــه وسهـــولـــة الاعطـــان(٤٧٧)

٢٥- انسيت قتلى بـــالكـــلاب وحـــابس
وبكيت ويحـــك برقـــة الروحـــان(٤٧٨)

٢٦- ودت تميم بـــالكـــلاب لـــو انهـــا
بـــاعت هنـــاك زمـــانهـــا بـــزمـــان

٢٧- والخيـــل تردي بـــالكـــماة كأنهـــا
يـــوم الكـــلاب كـــواسر العقبـــان(٤٨٠)

٢٨- برجـــال تغلب كالاســـود ومعشر
قتلـــوا طريفـــا من بني شيبـــان(٤٧٩)

---

(٤٧٥) يقول لاتستوي انت وابوك ودارم حتى يتساوى هذان الجبلان كرذم وابان .

(٤٧٦) اي اذهب فانهم مثل الطوفان عليك يغرقونك بفخرهم .

(٤٧٧) عفواته خيره ، سهولة الاعطان يقول ياخذون اسهل الاعطان ويعطونك اغلظها ، والاعطان مبارك الابل . ومرابض الغنم .

(٤٧٨) يشير في هذا البيت الى مطلع قصيدة جرير :

لمن الديار ببرقة الروحان
اذ لانبيع زماننا بزمان

(٤٧٩) يشير في هذا البيت الى البيت السابق لجرير .

(٤٨٠) تردي تعدو والرديان ضرب من المشي .

جرير والفرزدق والاخطل شعراء النقائض :

اصحاب هذه القصائد ثلاثة اعلام من شعراء العصر الاموي اقترن اسمهم بغرض واحد عرف باسم النقائض ، ولذلك اخترنا ثلاث اختيارات لتحليلها ومعرفة اجواء النقائض من خلالها وندرس وفق اطار الهجاء الذي يعد قوامها واساس انبعاثها .

لقد كان لخمود العصبية القبلية في عصر صدر الاسلام اثر في انحسار روحها في شعر ذلك العصر ، ومع ذلك عرف العصر نقائض دارت بين المشركين والمسلمين وفق اطار الدعوة التي وجدت من يناوئها ويرد على شعرائها ، ولكن ظروفا عديدة استجدت في العصر الاموي منها سياسية وفكرية واجتماعية تعاضدت جميعها على انبعاث الروح العصبية من جديد وانبعائها في نفوس الشعراء ، ومثلت النقائض هذه الروح كما مثلت العصر خير تمثيل فانبعث الهجاء اولا في المجتمع البصري بين شاعرين ينتميان الى قبيلة واحدة هي تميم وينتسبان الى فرعين منها ، جرير الى عشيرة كليب من بني يربوع والفرزدق ينتمي الى عشيرة مجاشع من بني دارم ، فكانت مهاجاتها محط انتباه اهل البصرة وشغلهم الشاغل حتى تناقلت الالسن قصائدها وانقسم الناس فريقين احدهما يفضل الفرزدق والاخر جريرا وكان الشاعر المفضل عليه يلوح بنيران هجائه الى كل من فضل صاحبه عليه ، فالمسألة لم تعد مسألة مهاجاة قبلية قدر كونها متعة فكرية وتحولت فيها النقائض من غاية الهجاء الخالص الى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة الى ضرب من ضروب الملاهي (٤٨١) ، وتحولت الى نوع من المنافسة الادبية الفنية .

استمرت المهاجاة بين الشاعرين نحو خمساً واربعين سنة دخل معهم في المهاجاة شعراء كثيرون سرعان ماسقطوا تحت وابل الهجاء فانسحبوا ليسلموا بعرضهم وشرفهم من لظى الهجاء ، وسخريته . حتى قيل ان جريرا وحده اسقط في الهجاء اكثر من اربعين شاعرا وقيل بل ثمانين شاعرا (٤٨٢) .

---

(٤٨١) العصر الاسلامي ضيف ٢٤٢

(٤٨٢) اتجاهات الشعر في العصر الاموي ٢٦٧ وينظر تاريخ النقائض للشايب ، والنقائض للدكتور محمود غناوي الزهيري .

قلنا ان النقائض قامت اساسا على الهجاء ولكنها اختلفت عن قصائد الهجاء الخالصة في كونها تستلزم وجود شاعر آخر يرد على الشاعر الهاجي بقصيدة تقوم على الوزن والبحر والقافية التي قال فيها الشاعر الاول فتكون القصيدتان نقيضتين تشترك في المعاني العامة لان الشاعر الناقض لابد ان يهدم المعاني الهاجية او المادحة او المفتخرة ويأتي بما يبطلها فخرا بنفسه وقومه وهجاء للشاعر وعشيرته وتشير نقيضة جرير التي اخترناها الى سبب دخول الاخطل في النقائض ، كما تشير نقيضة الاخطل التي اخترناها الى نقضه لمعنى ورد في مطلع قصيدة جرير .

قيل ان بشر بن ابي مروان والي الكوفة كان يغري بين الشعراء فقال للاخطل : احكم بين الفرزدق وجرير فقال : اعفني ايها الامير ! قال : احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده فأبى الا ان يقول فقال : هذا حكم مشؤوم ثم قال : الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر ، فلم يرجى بذلك جرير ، وكان سبب الهجاء بينهما .

وذكرت رواية اخرى مفادها ان الاخطل بعث ابنه مالكا من الشام الى العراق ليأتيه بخبر الشاعرين فلما لقي اباه قال له : وجدتُ جريراً يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت في صخر فقال الاخطل : الذي يغرف من بحر اشعرهما ثم قال شعرا يفضل فيه جريرا . وقيل انه لما قدم الكوفة بعث اليه ابن عم الفرزدق بهدية وطلب منه ان يعين الفرزدق ويفضله على جرير .

وبغض النظر عن اختلاف هذه الروايات يبقى الاخطل الى جانب الفرزدق ضد جرير وهذا ماتدل عليه قصائده ، والمختارات الثلاث التي ذكرناها تبين روح النقائض التي سادت بين هؤلاء الشعراء ، وسنجد ان كثيرا من المعاني قد وردت فيها مع اختلاف تناول الشاعر الواحد لها نقضا او بناءً .

قصيدة جرير

١ - ٩

تبدأ بتذكر الديار والبكاء على احبته على نهج الشعراء في قصائدهم التقليدية .. فهو يبكي رسوم الدار ويتحسر على الشباب لما يتذكره من ايام لهوه وعزه ، ويخاطب رفيقيه ويخبرهما بان فراق الاحبة قد صدع قلبه وآذاه .

٩ - ١٠

يصف فيها جرير الناقة التي ارتحل عليها مسليا نفسه عن الاحبة الذين ارتحلوا عن الديار .

١١ - ١٤

يبدأ جرير بهجاء الفرزدق ويصفه وقومه بالجبن ، وانهم عبيد اذا تعرضوا لقوم جرير فكأنهم يتعرضون للمستحيل وهو كمن يروم نقل جبلين من مكانيهما .

١٥ - ١٨

يفتخر جرير على الفرزدق بان فرسان قومه شجعان سبق لهم ان انتصروا على الملك النعمان ، وانهم كانوا اشداء على الملوك ملوك العرب والفرس وعدد اسماء فرسان قبيلته .

١٩ - ٢٠

فيها خطاب للاخطل وتهديد بأنه قد عرض نفسه بسبب تفضيله للفرزدق عليه وعرض نفسه وقوم قبيلته تغلب للهجاء ، وانه سيجدع انوف قومه ويذلهم ، وان قصائده في الاخطل قد وسمتهم وستبقى عارا عليهم .

٢٢ - ٢٤

فيها سخرية من الاخطل بسبب دخوله المهاجاة وهو غير مؤهل لها لانه من تغلب ، والتغلبي كما يتهمه جرير ذليل جبان ، والتغلبية مهانة يكفي ان مهر زواجها رخيص وقليل وتافه (فلسان)

قصيدة الفرزدق

اما قصيدة الفرزدق فقد بدأها دون مقدمة ، وكأن قصيدة جرير في هجاء صاحبه قد اثارته ولم تترك له فرصة الاخذ بالمقدمة الطللية فشاء له حماسه ان يبدأ بنقض قول جرير .

١ - ٣

يبين فيها الفرزدق ان هجاء جرير لتغلب لاقية له وهو غير مؤثر يضيع صداه في بحرين متلاطمين بحره ، وبحر الاخطل ، وان تغلب العظيمة قد فضلت الفرزدق على جرير .

٤ - ١٥

يذكر الفرزدق هنا فرسان تغلب وينص على ذكر الهذيل وفروسيته وقيادته للجيش ، كما ذكر الحوفزان وبنا يردّ على فخر جرير وماذكره من أسماء فرسان قومه ، ويتهم الفرزدق قوم جرير بالجبن .

١٥ - ٢١

يعود الفرزدق الى ذكر فرسان تغلب دفاعا عن الاخطل وقومه ، فمجد تغلب قديم بينما مجد جرير حديث فهم لااصالة لهم ، وان تغلب هي التي حمت ديار تميم ولولاها لدخل العدو - العدو الرومي - الى ديارهم ، ويعدد ايام تغلب التي كانت حافلة ومجيدة على المناذرة ، ويصف قوم الاخطل بانهم شجعان كرام ، وانهم لهم عقل راجح اذا وزنوا مكانته بمكانة غيره رجحوا مكانته يشير الى رأي الاخطل بتفضيله على جرير .

قصيدة الاخطل

اما الاخطل فقد بدأ قصيدته بمقدمة خمرية بدأها بلوم العادلات بشربه الخمرة .

١ - ٣

يصر الاخطل على التصريح بشرب الخمر وسقيه لصاحبه منها ، وانه في نشوة الخمر ويتذكر فتيات جميلات كان له معهن عهد ، ريا وابان ، وام الحارثية ، وقد اهدى للاخيرة منهن مديحا شاع على كل لسان ، وهذا يؤكد ان ذكره للفتيات ليس على طريقة الغزل والحب المعروفة في ابداء الشوق والوجد وانما تذكره لهن وامتداحهن جزء من الذوق العام او المجاملة ، ولذلك وصف جمالهن وصفا جماعيا فهن كصور المها ، وفي ايديهن الحناء .

٨ - ١٢

حديث الشيب اكثر الاخطل من ايراده كما اكثر منه جرير في قصائده ايضا وهو ان النساء اذا رأين الشيب انكرنه وهجرن صاحبه وانهن يقطعن الوصال كل هذا ليصل الى الفخر بنفسه بانه وفي لايقطع وصال مودته اذا تغير اصحابه ، وانه مؤدب لايطيل زيارة اخيه مع حبه له .

١٢ - ١٨

من هذا الفخر ينتقل الى هجاء جرير . فالاخطل يفخر بكونه وفيا ذا خلق وانه ليس كمثل قوم أذلاء شنوا حربا عليه ويبدأ بهجاء القوم وهم بنو كليب يريد بذلك جريرا ويدعو على كليب بالقبح لانهم لايحفظون محارم جيرانهم ، ولا يقرأون القرآن ، ولاينجدون من يلجأ اليهم .

١٨ - ٢٨

يخاطب الاخطل جريرا بانه يفخر بما ليس له ولا لقومه فما ذكره من مآثر ليس لبني كليب انما هو لدارم قوم الفرزدق ، فالمجد لهم واذا افتخر بالآباء والاجداد فالفخر بآباء الفرزدق واجداده ، ويذكر يوما من ايام العرب ، فالموازنة بين يربوع قوم جرير ودارم قوم الفرزدق مستحيلة لان دارما كالطوفان بكثرة جيوشها وفرسانها ..

ومن خلال ملاحظة هذه القصائد والنظر اليها-نظرة عامة يتبين لنا :

١- جميعا قامت على اكثر من غرض فجرير بدأها بمقدمة طللية وتبعها بهجاء ثم فخر وتعداد لمآثر قومه وايامهم والاخطل بدأ قصيدته بمقدمة خمرية تبعها بهجاء ثم فخر ومديح لقوم الفرزدق ، اما الفرزدق فان قصيدته بلا مقدمة تقليدية بدأ هجاءه مباشرة مبديا حماسه لنصرة الاخطل وقومه وكأن حماسه للرد على جرير لم يمهله ليقف على الاطلال .

اما الاخطل فان نصرانيته تشفع له ان يبدأ بعض قصائده بذكر الخمرة والتغني بها على طريقة الاعشى ، فدينه يسمح له ، والمجتمع لايعترض عليه ، كما ان الدولة لاتمنعه لانها تعرف ان الخمرة مباحة له في دينه .

٢- لما كانت النقائض قائمة على الهجاء ونقض مايقوله الخصم الشاعر فان البادئ هنا هو جرير ، وقد بدأ بتعداد فوارس قومه ، وشتم تغلب ، ووصفها بالعبودية والذلة فما كان من الفرزدق الا ان ينقض قوله ويعكس هذه الصورة فيعدد فوارس تغلب - قوم الاخطل - ويذكر انتصاراتهم . واما الاخطل فانه حين اراد ان ينقض قول جرير في هجاء صاحبه الفرزدق فانه يذكر صورة قبيلة جرير الذليلة وانه يفخر بما ليس في قومه فالمجد كله في قوم الفرزدق والفرسان العظماء هم فرسان دارم وكل المثل والاخلاق الكريمة تتمثل في دارم - قوم الفرزدق - .

٣- ذكر جرير فرسان قومه الذين انتصروا على الفرس والروم فنقض الفرزدق هذا المعنى واخذ يعدد فرسان تغلب الذين قتلوا فرسان كليب وانه لولا فوارس تغلب لغلب العدو على الديار الا ان تغلبا حمتهم بعزها وفرسانها ، واما الاخطل فأنه ينقض قول جرير بتعداد قوم الفرزدق وذكر ايامهم وانتصاراتهم .

٤- ذكر جرير صورا عديدة تمس دين الاخطل وانه سكران ، ولاتجوز شهادة من يشرب الخمر ، ولايجوز الاخذ بحكمه ، وان ابناء تغلب اذا قتلوا تلقتهم الملائكة بالقبح لانها تعرف قبح اخلاقهم . فنقض الفرزدق هذه الصورة وذكر مآثر قوم تغلب وفخر بهم دون ان يشير الى صورة جرير المارة الذكر . اما الاخطل فانه واجه جريرا بهجاء ينقض صورته فقومه على خلق عالٍ يحفظون حرمة الجار شجعان كرام اما قوم جرير فانهم لايقرأون القرآن فبأي شيئ يفخر جرير .

٥ـ القصائد حافلة بتراث القبائل التي ينتمي اليها الشعراء فهي تعد سجلا لمآثرهم وايامهم وحروبهم وسجلا لاسماء ابطالهم وفرسانهم بغض النظر عن نقض الشاعر الفخر الاخر او مديحه .. لذلك نستطيع القول اننا نجد في مجموع شعر النقائض مادة وفيرة تتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام ، مادة توضح الكثير من المعلومات عن علاقة القبائل بعضها ببعض ، وعلاقتها بالدول المجاورة خاصة اذا راجعنا في هذا الشأن امهات الكتب التي شرحت النقائض وعلقت على الابيات من خلال الموروث التاريخي والادبي كشرح نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة ، ونقائض جرير والاخطل لابي تمام(٤٨٣) .

٦ ـ ان المتتبع لشعر شعراء النقائض يلحظ اختلاف طرائق تعابيرهم في الخطاب باختلاف مايتحدثون عنه ، وباختلاف المعاني التي ينقضونها ، فهم بين اسلوب الخطاب المباشر ، او الحديث بلغة المفرد ، او الجماعة سواء المخاطبين منهم او الغائبين ، فجرير حين يفخر بنفسه ، ويتطرق الى قضاياه الشخصية يتحدث بلغة المفرد ، فهو اذا تذكر الشباب والنساء في مطلع قصيدته استخدم اسلوب المتكلم المفرد ، لان المعنى يخصه وحده فيورد مثلا :

(قد زرت ، راجعت ، عرفت ، راعني ....)

وحين يعمد جرير الى هجاء الاخطل او الفرزدق فانه يستخدم ايضا صيغة المفرد على سبيل الخطاب او الغائب : (لما جبنت ، كذب الفرزدق ، قل للمشور ، جدعت ، اعترف ...) او قد يلجأ الى الخطاب المباشر باسلوب النداء (ياخيطل ، ياعبد تغلب ، ياذا العباية ...)

ونجد مثل هذا عند الفرزدق الذي يخاطب جريرا في هجائه بمثل قوله (اسأل بتغلب ، نزل العدو ، اهجوتها ...) او يخاطبه بصيغة النداء : (يابن المراغة ...) والاستفهام اما الاخطل فانه يخاطب جريرا ايضا بصيغة الافراد والاستفهام (اجرير ، اتعد ، انسيت ...) او المفرد والخطاب مثل (واذا وضعت سمعت ...)

ويلجأ الاخطل في مقدمة قصيدته ايضا الى الحديث الفردي لانه يبدأها ايضا على نهج طريقة جرير بالحديث عن نفسه فيتحدث بالمفرد (سقيت ، ذكرت ، انني مهد ، لاقيت ، فارق ...) واذا اراد شاعر النقائض هجاء قبيلة صاحبه او الفخر بقبيلته لينقض ماورد من هجاء في شعر هاجيه فانه يلجأ الى صيغة الجمع في حالتي الغائبين او الحاضرين او المخاطبين فجرير يفخر بقبيلته بمثل قوله (شهدوا ، تركوا ...) وقد يفخر بها بلغة المتكلم (الجمع) لينقض

(٤٨٣) طبع الاول في ليدن ١٩٠٥ وطبع الثاني في بيروت ١٩٢٢ .

هجاء صاحبه ، ولانه يشعر فعلا انه ينوب عن قبيلته عنها في الفخر ، او الرد على الهاجين من اعدائها (انا لنغتصب الملوك ... ويخاطب قوم الاخطل هاجيا بصيغة الجمع (تقايستم جعلتم ...)

اما الفرزدق فانه يرد على هجاء جرير لصاحبه الاخطل فيتحدث عن قوم تغلب وان لم يكونوا من قبيلته - بلغة الجماعة ايضا لانه قد جند نفسه فعلا للدفاع عن تغلب التي تعرضت لهجاء جرير بسبب دخول الاخطل في المهاجاة ولكنه يستخدم صيغة الغائبين (وردوا ، تركوا ، هم قتلوا ، قوم اذا وزنوا ...)

وهكذا نجد في شعر النقائض صورة حية للمجتمع العربي في العصر الاموي . ولمكانة الشاعر فيه ، فشعراء النقائض برزوا اشخاصا لهم سماتهم الفنية والشخصية في اهاجيهم ، ولكنهم في الوقت نفسه لجأوا الى احياء مكانة الشاعر في عصر ماقبل الاسلام حيث وجدناه مدافعا عن قبيلته مسجلا بطولات ابطالها وفرسانها مفتخرا بامجادها وايامها .. رادا على الشاعر الهاجي نقيضته . وهكذا نستطيع ان نجد في النقائض اتجاهات الهجاء في العصر الاموي كافة من الهجاء الشخصي ومايحمله من سمات العصر ، الى الهجاء القبلي الذي يمثل انبعاثا لظاهرة عرفت قبل الاسلام .. الى هجاء سياسي حين يستغل شاعر النقائض موقف قبيلة المهجو من حدث سياسي ما، فيحاول اقحامه ليكون جزءاً مما يهدمه من امجادها ، وصورة لما يبنيه لامجاد قومه انطلاقا من موقفها السياسي ايضا وكان من الطبيعي ان نلحظ ملاحظة اخرى في اسلوب النقائض وهي اننا نجد تشابها كبيرا في المعاني التي يطرقها الشعراء الثلاثة وذلك بسبب طبيعة النقائض نفسها ومايقتضيه موقف الهجاء من هدم كل معنى اورده الشاعر الاول في نقيضته فيحوله من فخر الى هجاء متخذا من المعنى المفتخر به مادة للسخرية منه ، ومنطلقا منه لاستمداد معنى الفخر بقبيلته وتحويل الفكرة نفسها من هجاء الى مديح . مما يجعل معاني شعراء النقائض متداخلة متشابهة ولكن ذكاء الواحد منهم وقدرته الفنية تتجلى في مدى قدرته في الاستفادة في المعنى الواحد وتوظيفه الوجهة التي يريدها .

٧ - وهناك سمة مهمة اخرى تجدها في اشعار النقائض وهي لجوء اصحابها الى السخرية في احيان كثيرة ، والى المجون الساخر في احيان اخرى ، وشواهدها في شعر النقائض كثيرة تدلنا على تفتح الذهنية العربية لتشقيق المعاني واستنباط الصور وايرادها ايرادا ساخرا يثير الضحك في نفوس السامعين او يثير الاشمئزاز لما فيه من مجون ورفث وهي صور لم يخل منها شعر شاعر من شعراء النقائض اورد منها جرير والفرزدق اكثر من صاحبيها الاخطل وهو امر لم نتطرق له ، ولم نتمثل به في القصائد المختارة ..